الباب الثالث

في تأويل ظواهر الإنجيل

/ اعلم رحمك الله أنه إنما دخل الخلل على النصارى وغيرهم ممن بضاعته ١/ ٧٧/ ب من المعقول مزجاة، ومن جهلهم بمقتضيات الألفاظ وعدم المعرفة بوجوه الكلام ولقصور أفهامهم هابوا تأويل الظواهر فلم يحملوها على بعض محتملاتها بالدليل، وليس ذلك صوابا، بل ينبغي حراسة ما دَلَّ عليه دليل العقل الذي لا احتمال فيه، فإذا ورد لفظ عرض ظاهره على ما ضبطه دليل العقل، فإن لم يَنْبُ عنه استعمل الظاهر من اللفظ ولم يتأول، وإن نبا عنه طُلب له [وجه](١) يحمل عليه ما يحتمله ليجمع بين اللفظ وبين مقتضى العقل(٢)، إذ الشرع لا

---

(١) في ص (وجها) والصواب ما أثبته.

(٢) كان الأولى بالمؤلف في رده على النصارى في هذا الباب أن يستفتحه ببيان حقيقة الأناجيل وألفاظها: فإن أناجيل النصارى ليست قطعية الثبوت والدلالة، بل هي ظنية إن لم تكن منتفية عنها وذلك بنص القرآن الكريم في إخباره بتحريف أهل الكتاب لما أنزل عليهم، ولما ثبت من وجود التناقض والاختلاف في الأناجيل وعدم السند المتصل المتواتر لكتبهم، واعتراف بعض أحبارهم بكل ذلك كما سنبينه في الباب الرابع إن شاء الله تعالى.

وعلى فرض التسليم الجدلي لهم بصحة أناجيلهم وفيها تلك الألفاظ التي زل فيها النصارى وهي - الأب والرب والإله والابن - فإننا نجد لها تأويلا (أي تفسيرا) لمعانيها الصحيحة من نصوص كتبهم المقدسة لديهم - حيث إن الكتاب الواحد يفسر بعضه بعضا - وما يمكن أن تحمل عليه من المعاني الصحيحة بحسب سياق الكلام وبما يناسب إطلاقها عليه. فإن ألفاظ (الإله والرب) إذا أطلقت على الله فإنها تحمل على حقيقتها وما يستلزمه مقام الربوبية والألوهية من التعظيم والتنزيه والتفرد.

وإذا ما أضيفت إلى المخلوقين وأطلقت عليهم فإنه يراد بها التكريم والتفخيم والتدبر والرعاية والتعليم بحسب ما يناسب مقام العبودية والبشرية.

وكذلك لفظة (الابن) إذا ما أضيفت إلى الله عز وجل فإنها لا تعني بنوة الولادة أو الانفصال عن الله عز وجل - كما توهمه النصارى - حيث لم ينفرد المسيح بإطلاقها عليه، بل شاركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين في التوراة والإنجيل - ممن لم يدع أحد فيه الألوهية فإنها تعني حينئذ بنوة الطاعة والمحبة.

أما قول المؤلف (فإذا ورد لفظ ..... إلخ) فهو نفس القانون الكلي في التعارض بين الأدلة النقلية والعقلية الذي توهمه الرازي في كتابه أساس التقديس ص ١٧٢ وقد سبقه إليه طائفة من أئمة الأشعرية منهم أبو حامد الغزالي وابن العربي والجويني والباقلاني. (ر: المواقف للأيجي ص ٣٩، وأصول الدين للبغدادي ص١٢).

وقد أبطل الإمام ابن تيمية قانونهم الكلي في كتابة (درء تعارض العقل والنقل) حيث قال: ومثل هذا القانون الذي وضعه هؤلاء يضع كل فريق لأنفسهم قانونا فيما جاءت به الأنبياء عن الله، فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا أن عقولهم عرفته، ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعا له، فما وافق قانونهم قبلوه، وما خالفه لم يتبعوه. ==

يرد بخلاف ما يقتضيه العقل .

فإذا عرفت هـذا فاعلم أن الألفـاظ التي زلوا فيها وقـدروها نصـوصا وليست

==

وهـذا يشبه مـا وضعته النصـارى من أمـانتهم التي جعلـوها عقيـدة إيمانهم وردوا نصوص التـوارة والإنجيل إليهـا ، لكن تلك الأمانـة اعتمدوا فيهـا على مـا فهموه من نصـوص الأنبياء أو مـا بلغهم عنهم ، وغلطوا في الفهم أو في تصـديق الناقل كسائر الغالطين ، فمن يحتج بـالسمعيات فإن غلطه إما في الإسناد وإما في المتن .

وأما هؤلاء فـوضعوا قوانينهم على مارأوه بعقـولهم وقد غلطوا في الرأي والعقل ، فـالنصارى أقرب إلى تعظيم الأنبياء والـرسل من هؤلاء . ثم ذكـر الإمام ابن تيميـة جوابين في الـرد على قانـونهم : جواب إجمالي وتفصيلي :

أما الإجمالي فيقـول : والكلام على هـذه الجملة بني على بيان مـا في مقدمتها مـن التلبيس فإنها مبنية على مقدمات – أولها – ثبوت تعارضها – والثانية – انحصار التقسيم فيما ذكروه من الأقسام الأربعة – والثالثة – بطلان الأقسام الثلاثة .

والمقدمات الثلاثة باطلة ، وبيان ذلك بأصـل وهو : أن يقال : إذا قيل : تعارض دليلان – سواء كانا سمعيين أو عقليين ، أو أحدهما سمعيـا والآخر عقليا – فـالواجب أن يقـال : لا يخلو إما أن يكـونا قطعيين أو يكـونـا ظنيين ، واما أن يكـون أحـدهما قطعيـا والآخـر ظنيا . فـأما القطعيـان فـلا يجوز تعـارضهما ، وهذا متفق عليـه بين العقلاء ؛ لأن الـدليل القطعي هو الـذي يجب ثبوت مـدلولـه ولا يمكن أن تكون دلالته باطلة .

وحينئذ فلو تعارض دليلان قطعيان وأحدهما ينـاقض مدلول الآخر ، للزم الجمع بين النقيضين وهو محال . وإن كان أحـد الدليلين المتعـارضين قطعيا دون الآخر ، فـإنه يجب تقديمـه باتفـاق العقلاء ، سواء كان هو السمعي أو العقلي فإن الظن لا يرفع اليقين .

وأما إن كان جميعا ظنيين فإنه يصار إلى طلب ترجيح أحدهما ، فأيهما ترجح كان هو المقدم سواء كان سمعيا أو عقليا .

فتبين أن كل ما قام عليه دليل قطعي سمعي يمتنع أن يعارضه قطعي عقلي ، ومثل هذا الغلط – أي القانـون السابق – يقع فيه كثير من النـاس ، يقدرون تقديرا يلـزم منه لوازم فيثبتـون تلك اللوازم ولا يهتدون لكون ذلك التقدير ممتنعا ، والتقدير الممتنع قد يلزمه لوازم ممتنعة كما في قوله تعالى : ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾ الأنبياء / ٢٢ . اهـ .

(ر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٤ – ٧ ، ٧٨ – ٨١ بتصرف يسير) .

وأما الجواب التفصيلي فقـد شغل معظم أجزاء الكتـاب الذي يقع في عشرة أجـزاء بتحقيق د . محمد رشاد سالم .

مما سبق يبتين لنا فساد ما ذكر ه المؤلف – عفا الله عنه وعنا – في مقدمة الباب الثالث فإن الباطل لا يـرد بـباطل مثله . كما أنـه يستلـزم أن يتسلط النصـارى على المسلمين بهذا القـانون الكلي الفـاسـد فيطالبون بتأويل مـا ورد في القرآن والسنة من الألفاظ الشرعيـة كالصلاة والزكـاة ونحوه بحملها على ظواهرها اللغويه ونفي معانيها الشرعية ، وغير ذلك من الأمور التي تلزم قانونهم الفاسد .

بنصوص أربعة: الابن، والأب، والإله، والرب.

وإذا نحن أتينا عليها بالتأويل[1] وبيَّنا ما يحتمله بالدليل من التوراة والإنجيل لم يبق إلى إجرائها على الظاهر من سبيل، بعد أن / نقدِّر صحتها /٧٨أ مثلا ونسلم ورودها جدلا، ولو نسبناهم فيها إلى التحريف والتصحيف لأغريناهم بطغيانهم وحسمنا عنهم مادة إيمانهم، بل نلاطفهم ونتكلم بمقتضى اصطلاحهم ومنقولهم فعسى أن يكون ذلك أقرب لمعقولهم، فأما الخوض بهم في أدلة العقول فشيء لا تحمله قواهم ولا يلائم هواهم.

فنقول وبالله التوفيق: أما لفظتا الابن والأب: فلغتهم تسمي الولي (ابناً) وتسمي المربي (أباً)[2] ويعبرون عن ذلك بأبوَّة النعمة وبُنُوَّة الخدمة وذلك

---

(١) التأويل في اللغة: يطلق على معنيين (١) الرجوع والعاقبة والمصير. (٢) التفسير والبيان. (ر: الصحاح للجوهري ٤/ ١٦٢٧، القاموس المحيط ص ١٢٤٤).

(٢) ورد في قاموس الكتاب ص ١٧ أن كلمة (الأب) وردت في الكتاب المقدس بمعان كثيرة منها:

١- السلف المباشر للإنسان أي والده.

٢- الجد أو الأسلاف على وجه عام.

٣- أطلق هذا اللفظ رمزيا على:

أ - الأب الروحي الذي ينفث من روحه في غيره سواء كان تأثيره طيبا أو على النقيض من ذلك، فقد دُعي إبراهيم (أبو المؤمنين)، كما دعي إبليس أبو الأشرار.

ب - الدلالة على التشابه والتقارب والتماثل (وقلت للقبر أنت أبي) سفر أيوب ١٧/ ١٤.

جـ - على مصدر الشيء مثل (أبو المجد) أفسس ١/ ١٧.

د - على الخالق.

هـ - وعلى مبتدع فن ما أو عمل ما، أو مبتكر أسلوب خاص للحياة (أب ساكني الخيام) تكوين ٤/ ٢٠.

و - على الشخص الذي تظهر فيه خاصيات الأبوه (أبو اليتامى) مزمور ٦٨/ ٥.

ز - على من يقوم بعمل المرشد والمشير والمهتم بأمر من الأمور (وهو قد جعلني أبا لفرعون) تكوين ٤٥/ ٨.

ح - على رئيس محترم مكرم، ويطلق بخاصة على الأنبياء والمتقدمين في السن والمقام وعلى المسيحين الأولين.

٤- يعتبر الله في الديانة المسيحية أبا، وأبوة الله تسير في اتجاهين:

الأول - أبوته للبشر بالخلق.

والثاني - أبوته للمؤمنين بالنعمة. اهـ. ملخصا. ==

عندهم مشهور وفي نبوات أنبيائهم مذكور مرسوم والدليل عليه من التوراة: قول الله لموسى: (اذهب إلى فرعون فقل له: يقول لك الرب إسرائيل ابني بكري أرسله يعبدني فإن أبيت أن ترسل ابني بكري قتلت ابنك بكرك)(١)، قالت التوراة: (فلما لم يرسل فرعون بني إسرائيل كما قال الله قتل الله أبكار فرعون وقومه من بكر فرعون الجالس على السرير إلى الأتوني من أولاد الآدميين إلى ولد الحيوان البهيم/)(٢). ١/٧٨/ب

فهذه التوراة تُسَمِّي بني إسرائيل كلهم أبناء الله وأبكاره وتسمي أبناء أهل مصر أبناء فرعون وتتوسع بتسمية سخال(٣) الحيوان أولادا لمالك الحيوان.

فهل بقي بعد هذا ريب في صرف البنوة عن ظاهرها وحملها على الولي والعبد؟!

ألم تسمع النصارى قول الله (أرسله يعبدني) فعبر عن العبد المطيع له الممتثل أمره بالابن(٤)؟!

==

قلت: فإذا كانت هذه معاني الأبوة في الكتاب المقدس لديهم، فما الذي جعل أبوة الله للمسيح مختصة بأن تكون من نفس جوهر الذات الإلهية - على حد زعمهم وسخافتهم - ؟. وكيف يكون ذلك وقد شاركه غيره من الأنبياء والصالحين في تلك الأبوة ولهم من المعجزات أكثر مما للمسيح؟؟.

(١) سفر الخروج ٤/ ٢٢، ٢٣.

(٢) سفر الخروج ١٢ / ٢٩، ٣٠.

(٣) يقال (السخلة) لولد الغنم من الضأن والمعز ساعة وضعه ذكرا كان أو أنثى وجمعه سخل وسخال. (ر: مختار الصحاح ص ٢٩٠).

(٤) ورد في قاموس الكتاب ص ١٠٨، ١٠٩ أن كلمة (ابن الله أو أبناء الله) لقب أطلق على:

١ - المسيَّا (المسيح) وهو يدل على العلاقة القوية بين الأب السماوي والابن الأزلي.

٢- دعي آدم ابن الله (لوقا ٣/ ٣٨).

٣- دعي إسرائيل وشعبه ابن الله وأبناء الله.

٤- أطلق على المؤمنين بالله والناس الأتقياء.

٥- وعلى الملائكة. اهـ. ملخصا. ==

قال المؤلف عفا الله عنه: قَلَّ ما رأيت لفظة الابن في كتبهم إلا مقرونة بالعبودية والتعبد كقول التوراة (إسرائيل ابني بكري أرسله يعبدني)(١).

وكقول المزامير (أنت ابني سلني أعطيك)(٢) وكقول المسيح (أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم و إلهي و إلهكم)(٣) وكقوله (إذا صليتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات قدوس اسمك افعل بنا كذا وكذا)(٤) من باب السؤال والدعاء، فإذا كان إسرائيل ابن الله وبكره، فأيُّ مزية للمسيح عليه وعلى غيره في هذه البنوة؟!

==

وأستشهد هنا بقول الأستاذ شارل جنيبر في كتابه (المسيحية) ص ٣٩، ١٠٦ في بيان حقيقة إطلاق (ابن الله) على المسيح، فيقول جنيبر: والدراسات الأكيدة لدراسات الباحثين هي: أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه إنه (ابن الله)، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل - بالنسبة إلى اليهود - سوى خطأ لغوي فاحش وضرب من ضروب السفه في الدين.

كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع، وقد وجدا فيها معاني عميقة وعلى قدر كاف من الوضوح بالنسبة إليهما.

ثم يقول جنيبر: يمكن لليهودي أن يعتبر نفسه (عبداً ليهوه لا ابناً ليهوه)، ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه (عبد الله) وتقدم للناس بهذه الصفة.

والكلمة العبرية (عبد) كثيرا ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعني (خادما) و (طفلا) على حد سواء، وتطور كلمة (طفل) إلى كلمة (ابن) ليس بالأمر العسير، فإن كلمة S آ TX (اليونانية) تعني في نفس الوقت (خادم) و(طفل)، تماما كالكلمة اللاتينية puer ، وعلى هذا يكون التطور في اللغة اليونانية من S آ TX أي (طفل) إلىuigs أي (ابن) أمرا في غاية البساطة.

ولكن مفهوم (ابن الله) نبع من العالم الفكري اليوناني. اهـ.

(١) خروج ٤/ ٢٢.

(٢) مزمور ٢/ ٧، ٨.

(٣) يوحنا ٢٠/ ١٧.

(٤) متى ٦/ ٩ - ١٣.

وقال أيضاً في التوراة في قصة الطوفان (إنه لما نظر بنو الله إلى بنات الناس [حسانا][1] جدا شغفوا بهن فنكحوا منهن ما أحبوا واختاروا فولدوا جبابرة
١/٧٩/أ مذكورين / فأفسدوا فقال الله: لا تحل عنايتي على هؤلاء القوم)[2].

قال المؤلف: أراد بأبناء الله أولاد القتيل من ابني آدم وهو هابيل، وأراد ببنات الناس بنات القاتل وهو قابيل، وكُنَّ [حسانا][3] جدا فصروا قلوبهن عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام، وقد سمَّى الله أولاد الصلحاء من عباده أبناء له إذ كانوا أولياءه وأبناء وليه وصفيه الشهيد، فدلَّ على ما قلناه من تسمية الولي في شرع أهل الكتاب ابنا والمربي له أبا ومنعما، وذلك لا خفاء به عندهم، والدليل على ذلك من المزامير قول الله (يا داود أنت ابني حبيبي)[4] وذلك يقضي بمساواته المسيح إذ يقول له: (هذا ابني الحبيب)[5] فما نرى الإنجيل زاد المسيح على أن ساواه بداود وإسرائيل وأولاده الصلحاء من أولاد هابيل الذي قتله قابيل.

وقال في المزامير لداود أو لغيره: (أنت ابني وأنا اليوم ولدتك، سلني أعطيك)[6] وفي المزامير (ولدتك من البطن قبل الفجر)[7].

وقال نبي الله أشعيا في نبوته حاكيا عن الله: (توصوا بني في أبنائي
١/٧٩/ب وبناتي)[8] يريد ذكور عباده / الصالحين وإناثهم.

---

(١) (٣) في ص (حسان) والصواب ما أثبته.

(٢) تكوين ٦/ ١-٤، وفي ش: في التوارة لما نظر بنوا اللهم، اللام مفخمة وهو عبارة عن اسم الله تعالى.

(٣) مزمور ٢/ ٧.

(٤) متى ٣/ ١٧، مرقس ٩/ ٧.

(٥) مزمور ٢/ ٧.

(٦) مزمور ٢٢/ ٩، ١١٠/ ٣.

(٧) سفر أشعيا ٤٣/ ٦.

(٨) سفر أشعيا ١/ ٢.

وقال اللـه في نبوة أشعيـا : (إني ربيت أولادا حتى كبروا ونشأوا)[1]، فما نرى المسيح إلا نسج له على منوال من تقدمه مـن صلحاء عباد الله فإن لم يصح هذا النقل فلا بنوة، وإن كان صحيحا فلا مزية .

والـدليل على أن البنـوة بمعنى التربية والإنعـام قـول المسيح في الإنجيل (أبي رباني)[2] فقرن الأبوة بالتربية .

وقال المسيح : (أنا الكرم وأبي الفلاح فكما أن الفلاح يسقي الكرم ويدفع عنه الأذى ويُنمِّيه فكذلك يفعل الأب)[3] .

قـال المؤلف : وإذا كـان هـذا نقلهم عن اللـه تعـالى أن اللـه تعـالى سمَّى الصالحين من عباده والمتقين من خلقه أبنـاء، فلا معنى لإطنابهم في بنوة المسيح وتخصيص التأويل بداود وإسرائيل وغيره ما إليه من سبيل .

قلت : وهذه الـولادة الروحانية هـي الأبوة المعتبرة المستفادة من تربيـة المشائخ والعلماء بالله الدالين عليه المحببين عبـاده وبها يصير الإنسان إنسانا، وذلك أن الوالـد الجسماني يضع المولود ساذجا عن المعـرفة، خاليا عن العلم، عـاطلا من الأدب، متـوفـر البهيميـة/ ، نزر الإنسـانيـة، ليس لـه كبير فضل على الحيـوان ١/ ٨٠/ب البهيم، فإذا ولـد الـولادة الروحـانيـة نقل إلى طور الإنسـان، وحُـوِّل عن بهيم الحيوان، فتروى بـالعلم، وتحلَّى بالحكم، وتَشَنَّف بـالأدب، وتشرف بالـزهد، وتَرَوْحن بالمعرفة ، فترقى عن الإنسانيـة وناسب الملائكة، فحينئذ تمت له الولادة الروحانية وتلاشت في جنبها الولادة الترابية الجسمانية .

---

(١) يوحنا ١٤ / ٣١ .

(٢) يوحنا ١٥/ ١-٩ .

والدليل على اعتبار هذه الولادة قول المسيح: (لن يدخل ملكوت السماوات من لم يولد من ذي قبل، قيل له: كيف يولد شيخ، قال: الحق أقول لكم إن المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح روح هو)[1].

يريد عليه السلام روح الحكمة التي قالت التوراة: (أنها ملأت بصلئيل من سبط يهوذا)[2]. (وقال رجل من أصحاب المسيح له: يا سيد مرني أن أذهب فأدفن أبي، فقال: دع الموتى يدفنون موتاهم)[3] أمره بملازمة الأب الروحاني الذي يكون سبب الحياة الدائمة.

ولما استعمل رسول اللهﷺ عتاب بن أسيد [4] على مكة قال: يا عتاب أتدري على من استعملتك؟ / استعملتك على أهل الله، قالها مرات)[5] وقال ١/ ٨٠/ب
عليه السلام: «أهل القرآن هم أهل الله»[6].

---

(١) يوحنا ٣/ ٣ - ٦.

(٢) سفر الخروج ٣١/ ١-٣.

(٣) متى ٨/ ٢١ -٢٢، لوقا ٩/ ٥٩, ٦٠.

(٤) عتاب بن أسيد ابن أبي العيص، أسلم يوم الفتح، وكان عامل الرسولﷺ على مكة، ومات في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. (ر: ترجمته في ابن سعد ٥/ ٤٤٦، والإصابة ٤/ ٢١١)..

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٧/ ٢٤٥ قال: ثنا القاسم بن علي الجوهري ثنا يحيى بن عثمان ثنا يحيى بن بكير ثني يحيى بن صالح الأيلي عن إسماعيل بن أمية عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول اللهﷺ: يا عتاب بن أسيد إني قد بعثتك إلى أهل الله وأهل مكة . . . الحديث)

وفي إسناده يحيى بن صالح الأبيل، قال العقيلي عنه: روى مناكير وكذا قال ابن عدي (ر: لسان الميزان ٦/ ٢٦٢). وأما نص المؤلف فقد ذكره ابن سعد في الطبقات ٥/ ٤٤٦ من غير إسناد.

(٦) أخرجه ابن ماجه (ر: صحيح ابن ماجه ١/ ٤٢)، والإمام أحمد ٣/ ١٢٧، ١٢٨ ٢٤٢، والحاكم ١/ ٥٥٦ وغيرهم من طرق كلهم عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ . . . فذكره. قال الحاكم: قد روى هذا الحديث من ثلاثة أوجه عن أنفس هذا أمثلها، ووافقه الذهبي.

وقيل لأبي بكر الصديق: ماذا تقول لـربك وقد استعملت علينا عمر؟ فقال: أقول استعملت على أهلك خير أهلك[1].

وذلك كله للتشريف وإلا فلا مناسبة بين القديم والحادث والخالق والمخلوق وبعد، فقد كانت هذه الولادة أعني ولادة التربية مشهورة في الزمن الأول والدهر المتقدم، فكأن التبنـي بالغير مسوغ فـانظر إلى المعنى الـذي أشرنا إليـه، ولم يزل ذلك كـذلك إلى قبيل الإسلام ولما قـال عليـه السلام: «إن زيـدا[2] ابني يرثني وأرثه، رضي بذلك والد زيد وعمومته وانصرفوا»[3] فلما جاء الله بالإسلام والنبوة منع من ذلك رفعا لـلالتباس بالتسميـة وأحكام الأبـوة الدنيويـة فقال جل من قائل ﴿**ادعوهم لآبائهم**﴾[4].

فـان أراد النصـارى بـالأبـوة والبنـوة المذهب الـروحـاني من التربيـة والتعليم والتهـذيب والتقويم، لم نشـاحهم في الألفـاظ بعد فهم المعـاني، لكنا نقـول لهم: لا اختصاص للمسيح عليـه السلام بهذه البنوة، ونتلو عليهم مـا تقدم مما نقلناه من التوراة والنبوات والإنجيل.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/ ١٩٩، ٢٧٤ بإسناده.

(٢) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، حب رسول اللهﷺ، الصحابي المعروف رضي الله عنه.

(٣) إن موضع استشهـاد المؤلف بأن زيداً عـرف بابن محمدﷺ لتربيتـه وتبنيه لـه قد أخرجـه البخاري في كتاب التفسير (ر: فتح ٨/ ٥١٧) ومسلم ٤/ ١٨٨٤، والترمذي ٥/ ٦٣٤ عـن ابن عمر رضي الله عنهما (أن زيـد بن حارثـة مولى رسـول اللهﷺ مـا كنـا ندعـوه إلا زيد بن محمـد حتى نزل القـرآن ﴿**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**﴾.

وأما لفظ مـا أورده المؤلف فقد أخـرجه ابن سعد ٣/ ٤٢ وابن حجـر في الإصابـة ٣/ ٢٥ من طريق هشام بن السـائب الكلبي عن أبيه وعن حميـد بن مرثـد الطائي وغيرهما في سيـاق طويل، إلا أن في إسنـاده محمد بن السـالبي وهـو متهم بالكـذب، ورمي بالـرفض، من السـادسة. (ر: التقـريب ٢/ ١٦٣).

(٤) سورة الأحزاب/ ٥.

١/٨١/أ / الدليل على مساواة المسيح غيره في هذه البنوة وأنه لم يخص بها نفسه :

وذلك في الإنجيل كثير جدا قال المسيح في خاتمة الإنجيل : (أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) فقد سوى بين نفسه وبين تلاميذه في هذا المعنى ويوضحه قوله (والهي والهكم)، فإن رام النصارى تفرقة بين المسيح وبين غيره قلبنا عليهم الكلام وعكسنا المرام حتى يضطرهم الحجاج إلى جعل البنوة في حق المسيح وغيره بمعنى واحد.

قال المؤلف : لقد فاوضني بعض الرهبان ممن يدَّعي بناناً في البيان، فأفضى الحديث معه إلى ذكر الابن والبنوة، فألزمته قول التوراة (ابني بكري) وقلت له : لعل البكر يكون أحظى عند والده، وأولى بطريف[١] برِّه وتالده[٢]، فما تقول في بنوة إسرائيل؟ فقال : إسرائيل وغيره ابن النعمة والمسيح ابن على الحقيقة، فعكست عليه كلامه فتبلد واختزى ولجأ إلى ضعف العبارة واعتزى[٣].

وقد سوَّى المسيح بين نفسه وبين سائر المطيعين من عباد الله في هذه البنوة وقد أخبر يوحنا الإنجيلي في الفصل الثاني من الرسالة[٤] الأولى أن إطلاق لفظ
١/٨١/ب البنوة إنما هي / مجرد تسمية امتن الله بها عليهم تشريفا لهم فقال (انظروا إلى محبة الأب لنا أنه أعطانا أن ندعا له أبناء)[٥] ثم قال في الفصل الثالث منها : (أيها الأحباء الآن صرنا أبناء الله وقد تبنَّن بنا فينبغي لنا أن ننزله من الإجلال

---

(١) (الطارف والطريف) من المال المستحدث وهو ضد التالد والتليد والاسم (الطرفة) (ر: مختار الصحاح ص ٣٩٠).

(٢) التالد : المال القديم الأصلي الذي ولد عندك وهو ضد الطارف (ر: مختار الصحاح ص ٧٨).

(٣) أي نسب إلى ضعف العبارة والخزي والتبلد، وأصله عزا، عزاه، فاعتزى. (المرجع السابق، ص ٤٣١).

(٤) رسالة يوحنا الأولى من ضمن أسفار العهد الجديد.

(٥) رسالة يوحنا الأولى ٣/ ١ .

على ما هـو عليه، فمـن صح له هـذا الرجاء فليـزك نفسه بترك الخطيئـة والإثم واعلموا أن من لابس الخطيئة فإنه لم يعرفه)[1].

قال متى: (قـال المسيح: أحبوا أعداءكم وباركـوا على لاعنيكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وصلـوا على من يطردكم، لكيما تكـونوا بني أبيكم المشرق شمسـه على الأخيار والأشرار، والممطر على الصديقين والظالمين)[2].

وقال المسيح لتـلاميذه: (كـونوا كـاملين مثل أبيكم فهو كـامل، لا تصنعوا معـروفكم قـدام النـاس لكي تـراؤنهم فيحبط أجـركم عنـد أبيكم الـذي في السماوات، لتكن صـدقتك في السر وأبـوك يـرى السر فيجزيك عـلانيـة، إذا صليت فـادخل مخدعك وأغلـق بـابك وصل لأبيك سرا وأبـوك يـرى السر فيجزيك عـلانية، وإذا صليتم فلا تتشبهوا بالـوثنيين لأنهم يظنون أن/ يسمع ١/ ٨٢/أ منهم بكثرة كلامهم، فأبوكم عالم بحوائجكم قبل أن تسألوه)[3].

فهذا المسيح قد سوىَّ بين نفسه وبين سائر المطيعين لله في البنوة، وبيَّـن أن لفظة «الابن» قد تطلق على العبد الصالح بدليل قـوله لليهود (أنتم لو كان الله أباكم كنتم [تحبونني][4]، أنتم من أبيكم إبليس وشهوة إبليس تهوون)[5].

---

(١) رسالة يـوحنا الأولى ٣/ ٢ - ٦ وقد ورد النص كالآتي (أيها الأحباء الآن نحن أولاد اللـه ولم يظهر بعد ماذا سنكون؟ ولكن نعلم أنه إذا أظهـر نكون مثله لأننا سنراه، كما هو وكل من عنده هـذا الرجاء به يطهـر نفسـه كما هـو طاهـر، كل من يفعـل الخطيئة يفعل التعـدي أيضـا والخطيئـة هي التعـدي وتعلمـون أن ذاك أظهر، يـرفع خطـايانـا وليس فيه خطيئـة، كل من يثبت فيـه لا يخطئ، كل من يخطئ لم يبصره ولا عرفه).

(٢) لوقا ٦/ ٢٧-٣٥ في سياق طويل وقد ذكره المؤلف مختصرا.

(٣) متى ٥/ ٤٨، ٦/ ١-٨.

(٤) في ص (تحبوني) والصواب ما أثبته.

(٥) يوحنا ٨/ ٤٢ -٤٤ بألفاظ متقاربة.

وقد قال فولس في الرسالة الخامسة: (إياكم والسفه والسب واللعن واللعب، فإن الزاني والنجس والغاشم كعابد الوثن لا نصيب له في ملكوت الله، احذروا هذه الشرور فمن أجلها يأتي رجز الله على الأبناء الذين لا يطيعونه، فإياكم أن تكونوا شركاءهم فقد كنتم من قبل في ظلمة فاسعوا لأن نسعى [كأبناء](١) النور) (٢) انظر كيف سمى فولس حكيم النصارى [من](٣) يعمل بالمعاصي ابنا، كما سمَّى المتقين من عباد الله ابنا، فقد استبان لك مرادهم بالبنوة التي يطلقونها.

نوع آخر: قال المسيح: (سمعتم ما قيل العين بالعين والسن بالسن وأنا أقول لا تقاوموا الشر بالشر ولكن من لطمك على خدك الأيمن فحول الآخر، ومن رام أخذ ثوبك فزده إزارك / ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين، ومن سألك فأعطه، ومن اقترض منك فلا تمنعه، سمعتم ما قيل أحبب قريبك وأبغض عدوك وأنا أقول لكم أحبوا أعداءكم وباركوا على لاعنيكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وصلوا على من يطردكم ويخزيكم، لكيما تكونوا بني أبيكم كونوا كاملين مثل أبيكم فهو كامل(٤)، واذا صنعت رحمة فلا تصوِّت قدامك بالبوق كالمرائين في المجامع والأسواق لكي يُحمدوا من الناس، الحق أقول لكم لقد أخذوا أجرهم، وإذا صنعت رحمة فلا تعلم شمالك ما صنعت يمينك لتكن صدقتك في السرِّ وأبوك يجزيك علانية، وإذا صليتم فلا تكونوا كالمرائين الذين يصلون ليظهر للناس صلاتهم، الحق أقول لكم لقد أخذوا أجرهم(٥)، وإذا ١/٨٢/ب

(١) في ص (أبناء) ولعل الصواب ما أثبته.
(٢) رسالة بولس إلى أهل أفسس ٥/٣ - ٨.
(٣) إضافة يقتضيها السياق.
(٤) متى ٥/٣٨ - ٤٨.
(٥) متى ٦/١ - ٥.

صمتم فلا تكونوا كالمرائين الذين يعبسون وجوههم ويغيِّرونها ليظهر للناس صيامهم، الحق أقول لكم لقد أخذوا أجرهم، وأنت إذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك كيلا يظهر للناس صيامك، اغفروا للناس خطاياهم ليغفر لكم أبوكم السماوي خطاياكم، لا تكنزوا لكم كنوزا في الأرض [حيث][1] الأكلة والسوس / والسارق ولكن اكنزوا لكم كنوزا في السماء حتى ١/ ٨٣/أ لا تفسدها سوس ولا تنالها أيدي السُرَّاق، فحيث تكون كنوزكم هناك تكون قلوبكم)[2].

فهذه أقوال من المسيح شاهدة بأنه عليه السلام لم يخص نفسه بالبنوة دون أدناهم، وأنه وإياهم فيها سيَّان، وأنها كلمة تطلق على عباد الله الصالحين، وأنه حيث ما ذكرها قرنها بالعبودية والتشمير في الطاعة، وأن من كان منحرفا عن التقى والديانة لم يصلح لهذه البنوة، كما قال المسيح لليهود (أنتم من أبيكم إبليس) حيث لم يرضهم للبنوة المعزوة إلى الصالحين من بني إسرائيل.

إطلاق أتباع المسيح لفظ البنوة على أنفسهم غير مفرقين فيها بينهم وبين المسيح [و][3] أنهم لم يفهموا منها إلا ما أشرنا إليه:

قال يوحنا التلميذ في قصص الحواريين الذي يسمى فراكسيس: (يا أحبائي إنا أبناء الله سمانا بذلك، واعلمو أن الفصل بين أبناء الله وأبناء الشيطان أن من لم يتبرر ويحب أخاه فليس من الله بل من الشيطان)[4].

---

(١) في ص: جنب، والتصويب من النص.

(٢) متى ٦/ ١٦ - ٢١.

(٣) إضافة يقتضيها السياق. والله أعلم.

(٤) رسالة يوحنا الأولى ٣/ ١ - ١١ بألفاظ متقاربة، ولم يرد النص في سفر أعمال الرسل كما ذكر المؤلف.

١/ ٨٣/ ب فبيَّن الحواري أن بنـوة اللـه عبـارة عن طـاعتـه وأن من لم يطع اللـه / فليس يصلح لهذه البنوة ولا تليق بـه، وساوى بين نفسه وبين المسيح في هـذه البنوة. فلم يبق بعدها للنصارى باقيـة، ولم تقم لهم في تخصيص المسيح بالبنوة قائمة. وقد عبَّر يوحنا الإنجيلي عـن هذه البنوة بالطاعة والاستقامـة، وذكر أن من كان منحرفا عن خـدمة الله لم يصلح لهذه البنوة فقال في الفصل الثـالث من رسالته الأولى: (اعلمـوا أن كل من ولد من اللـه فلن يعمل خطيئة من أجل أن زرعـه [ثابت](١) فيه فلا يستطيـع أن يخطئ لأنه مولود من اللـه وبهذا نتبين أبناء الله من أبناء الشيطان فكل من لا يعمل البر فليس هو من الله)(٢).

فـالمسيح عليه السـلام ويعقوب وداود ومن مضى من أوليـاء الله وأنبيـائه لما تحققوا بخـدمة اللـه وسارعـوا إليها أطلق اللسـان العبراني عليهم هـذه التسمية تشريفا لهم ولا مزية للمسيح على غيره في ذلك.

وقال فـولس الذي يسمـونه فـولس الرسـول وهو المفسر العـالم الذي لهم في
١/ ٨٤/ أ رسالتـه إلى ملك الروم (أن الـروح تشهد لأرواحنـا أنا أبنـاء الله وإذا كنـا أبناءه فنحن ورثتـه / أيضا) وقـال فولس في هـذه الـرسالـة: (إن البرية كلهـا تترجى ظهور أبناء الله)(٣).

قال المؤلف: إن كـان هذا الكلام صحيحـا، فالمسلمـون أحق بهذه التسمية فـإنهم الذين ملأوا الأرض ونفعوا البرايا والأمم بما أرشدوهم إليه من طاعة الله، وعلموهم من توحيده، وشرعوا لهم من أحكامه، وتحقق رجاء البرية بما أفادهم المسلمون من مصالح دينهم ودنياهم.

---

(١) في ص (ثابتا) والصواب ما أثبته.

(٢) رسالة يوحنا الأولى ٣/ ٩، ١٠.

(٣) رسالة بولس إلى أهل رومية ٨/ ١٦ - ١٩، وقد وهم المؤلف في قول أنها رسالة بولس إلى ملك الروم.

وقال فولس في رسالته إلى بعض النـواحي : (أولا تعلمون أنكم هياكل الله ، وأن روح الله حالة فيكم ، وأن الدنيا والآخرة لكم)[١] .

وقال فـولس لإخوانـه : (إن أجسامكم هيكل لـروح القدس التي قبلتمـوها عن الله)[٢] ، وقال فـولس في رسالتـه الثانيـة : (إن الله تعـالى قال : إني أحل فيهم وأسعى معهم ، وأكون لهم إلها وهم يكونون بمنزلة البنين والبنات)[٣] .

فهذا فولس - المؤتمن عند النصارى - لم يدَّع أن المسيح [مباين][٤] أحد من الملة في هذه البنوة ، وقـول فولس (إنكم هياكل الله) الهيكل [٥] بيت متعبدهم كـالمسجد ونحـوه ، فشبه بيت العبـد الصـالح في طهارتها وعمارتها بـذكر اللـه بالهيكل والمسجد .

وقـال متى في إنجيله/ : (إن جبـاة الجزية جـاءوا إلى بطـرس فقالـوا ما بـال ١/ ٨٤/ ب [معلمكم لا][٦] يـؤدي الجزيـة؟ فقـال لهم : نعم ، ثم أخبر المسيح بمقـالتهم فقال : يا بطرس والبنون أيضـا تؤدي الغرم ، اذهب إلى البحر فأول حوت يخرج فخذ وأَدِّ عني وعنك)[٧] .

فهذا متى يشهد على المسيح بـأنه لا يختص بهذه البنوة وأن [البنين][٨] سواه كثير.

---

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٣/ ١٢ , ١٦ في سياق طويل وقد ذكره المؤلف مختصرا .

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٦/ ١٩ بألفاظ متقاربة .

(٣) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٦/ ١٦ بألفاظ متقاربة .

(٤) في ص (مباينا) والصواب ما أثبته .

(٥) الهيكل : كلمة سومـرية معناها (البيت الكبير) وهـو مكان عبادة الله ، ويقوم مقـام الكنيسة اليوم ، وكان اليهود يطلقـون اسم (الهيكل) على مكان واحد كبير في القدس ، وباقي أمـاكن العبادة كانت تسمى (مجامع) ومفردها مجمع . (ر: قاموس ص١٠١٢) .

(٦) بياض في الأصل ، والتصويب من النص في ص ١٩٨ .

(٧) متى ١٧/ ٢٤ - ٢٧ .

(٨) في ص (البنون) والصواب ما أثبته .

وهـذه صورة [صـلاة][1] زعم النصـارى أن المسيح علَّمهـا تلاميـذه: وهي (أبـانـا الذي في السماوات قـدوس اسمك يأتي ملكـوتك تكـون مشيئتك كما في السماء كذلك تكـون على الأرض، آتنا خبزنا قـوتا في اليوم، واغفر لنـا ما وجب علينـا كما نحب أن نغفر لمن أخطأ إلينـا، ولا تدخلنـا التجارب ولكن نجنـا من الشرير، إذ لك المجد والقوة والملك إلى الأبد. آمين)[2].

قال المؤلف: قوله (آبانـا الذي في السماوات) لفظ موهم من حيث الأبوة ومن حيث الجهة.

فـالأبوة متروكـة الظاهـر بقول يـوسف في التوراة: [لأخيـه بنيامين - وهـو لا يعرفه - يا بني الله يترأف][3] عليك.

١/ ٨٥/أ فقـد سمى أخـاه ابنـه، وليس ابنـا لـه على الحقيقـة، وبقـولـه / في التـوراة لإخـوتـه: (لستم أنتم الـذين بعتموني بـل الله قـدمني أمـامكم، وجعلني أبـا لفرعون وسيدا لأهل الأرض)[4] يريد مدبرا له.

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) متى ٦/ ٩ - ١٤، لوقا ١١/ ٢-٤ وهذه الصلاة يسميها النصارى (بالصلاة الربانية) وهي فاتحة صلاتهم وبعدها يقرؤون الصلوات (الأدعية) التي تنـاسب صلاتهم، وتنقسم هذه الصلاة إلى ثلاثة أقسام: (١) الـدعاء (أبانـا الذي . . .) (٢) الطلبات وهي سـت، ثلاث منها تختص بـاسم الله وملكوتـه ومشيئته، وثلاث بـاحتياجات الإنسان الـزمنية والروحيـة. (٣) التمجيد (لأن لك الملك . . .) . (ر: قاموس ص ٥٥٢، الصلاة في الأديان الثلاثة ص ١٣٥، ١٥٨ أحمد أبو طبة).

(٣) في ص: (لاجيب سامن وهـو لا يعرفـه يا بني اللـه يترأف) والتصويب من النص في سفـر التكوين ٤٣/ ٢٩.

(٤) تكوين ٤٥/ ٤ -٨.

وقد كان التلاميذ يقولون للمسيح: ياأبت[1]، وليس [أباهم][2] إلا على جهة التدبير كما قال لهم: (لا تدعوا لكم مُدبِّرا على الأرض فإن مدبركم المسيح)[3]

وكانوا أيضا يدعون بطرس بعد المسيح (أبا) لهم كما شهدت به سير التلاميذ، وذلك بمعنى المدبر، فليعلم اللبيب أن قول المسيح لربه (ياأبت) إن صح ذلك عنه كقول بطرس للمسيح (يا أبت) وكقول التلاميذ لبطرس (يا أبت). وعند الوقوف على هذه المواضع تنحل عقود النصارى في دعوى بنوة المسيح وينفصم عراهم فلا يحاولون انفصالا إلا وينعكس عليهم في بنوة المسيح.

ويقال لهم: هل أبوة يوسف لأخيه بنيامين ولملك مصر إلا كأبوة الله للمسيح؟! وهل بنوة المسيح لله إلا كبنوة إسرائيل وداود وأولاد الشهيد من ابني آدم كما حكوا عن التوراة والكتب القديمة؟! ولما كان الأب هو المشفق المرفق العاطف ببره العابد بخيره، المحرك بإحسانه / المفضل بتطوله وامتنانه، ١/ ٨٥/أ وكانت هذه المعاني لا تتحقق على الحقيقة إلا من الله جلت قدرته، وكان المسيح قد توفرت روحانيته فلم ير الوسائط، حَسُنَ[4] عنده التجوز باسم الأب عن الرب، وهذا محمل يتعين حمل هذه الألفاظ عليه إن صح إطلاقها

(١) لم أعثر في الأناجيل على نص يشير إلى أن التلاميذ كانوا يقولون للمسيح: يا أبت ولكن ورد فيها أن التلاميذ كانوا ينادون المسيح بالألقاب الآتية:
(المسيح ابن الله) ر: متى ١٦/ ١٦.
(رب) ر: متى ١٦/ ٢٢، مرقس ٨/ ٣١، يوحنا ٢١/ ١٥.
(سيد) ر: مرقس ٩/ ٤-٥، يوحنا ١٣/ ١٣٧.
(معلم) ر: يوحنا ٣/ ٢.

(٢) في ص (أبوهم) والصواب ما أثبته.

(٣) متى ٢٣/ ٩.

(٤) في ش: جواب لمَّا.

منه، إذ القديم جل وعلا يتقدس عن أن يشار إليه بأبوة البعضية المتخذة من الزوجة والسرية تعالى القديم عن مماسة العديم، وتقدس العظيم عن ملابسة الهضيم[1]. ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع العليم﴾[2].

ولما كان الابن هو المهضوم الجناح، المفتقر في سعيه إلى النجاح، الخائف من دركات الهلكات بركوب الجناح، اللائذ بأبيه [لاستمطار][3] نواله، المتعلق بذيول كرمه في مضمون سؤاله، المرمَّى ببره العظيم المعدي بمنه الجسيم، لم[4] يقبح عنده التوسع باسم الابن عن العبد.

فإن تأول النصارى البنوة والأبوة بهذا التأويل وإلا فضحتهم التوراة والنبوات والإنجيل فقد حكوا عن التوراة قول الله (إسرائيل ابني بكري)، وفي المزامير يقول داود لأكابر بني إسرائيل: (أنا قلت لكم إنكم آلهة وبنو / العلا كلكم تدعون)[5]. ١/٨٦/أ

ولا خلاف أن الإنجيل من فاتحته إلى خاتمته لم يخصص المسيح بهذه البنوة، بل شارك فيها غيره من الصلحاء والأتقياء من عباد الله وأوليائه، ومن أنصف من النصارى عرف صحة ما قلناه فقد قال يوحنا في إنجيله: (إن يسوع كان مزمعا أن يجمع أبناء الله)[6]، فهذا يوحنا التلميذ يذكر أن سائر بني إسرائيل يسمون بهذا الاسم ويذكر أن المسيح رام جمع الناس على كلمة الإيمان فلم يقدر على ذلك.

---

(١) هضم فلانا: ظلمه، وغصبه، كاهتضمه وتضهمه، فهو هضيم. (ر: القاموس ص ١٥١١).

(٢) سورة الشورى / ١١.

(٣) في الأصل: (لا ستمطار)، وأظنه تحريف من الناسخ لكلمة (لاستمطار) وهو ما أثبته لموافقته سياق الكلام. والله أعلم.

(٤) في ش: جواب لما.

(٥) مزمور ٨٢/ ٦.

(٦) يوحنا ١١/ ٥٢.

وإذا ثبت إطلاق لفظة البنوة على يعقوب وداود وغيره، فما بال النصارى لا يقولون في إيمانهم وحلفهم (وحق يعقوب ابن الله)؟!

ولم حطُّوا حرمته وهو ابن الله بكره - والبكر له مزيد حرمة عند أبيه - ؟! وكذلك هلا أقسموا بداود وهو ابنه حبيبه، ولم هجروا اسمه وهو مساو المسيح في البنوة والحب؟!

وكذلك قال لوقا الإنجيلي: (جبريل أخبر عن الله أن المسيح ابن داود)[1] فهلا نسبوه نسبته التي نسبه بها جبريل ولهجوا بذلك في أقسامهم وأيمانهم فقالوا (وحق المسيح ابن داود).

وكيف رغبوا له / عن تسمية سماه الله بها على لسان جبريل قبل خلقه؟! أهم أعلم بما يجب له من الله؟! فكيف تركوا تسمية الله له وأخلفوا تسميةً أجمع أرباب الملل والنحل على تخطئتهم فيها؟! ١/٨٦/ب

فإن رجعوا القهقرى وتمسكوا بقوله: (يا أبت) أوردنا عليهم قولة التلاميذ (قولوا: أبانا الذي في السماوات) ونظائرها. على أنا نقول لهم: ألم تروا لنا عن المسيح في خاتمة الإنجيل قوله: (أنا ذاهب إلى إلهي وإلهكم)[2] وقوله وهو على الصليب فيما زعمتم: (إلهي الهي لم تركتني؟)[3].

فهلا تقولون في صلواتكم وأدعيتكم: يا عبد الله اغفر لنا، وكذلك إذا دعوتم الأب فقولوا: يا سيد إلهنا ارحمنا، وكذلك قولوا في دعائكم الأب: يا جَدَّنا افعل بنا كذا؛ لأن بطرس[4] أبوكم، والمسيح أب لبطرس والله أب للمسيح.

---

(١) لوقا ١/ ٣٢.

(٢) يوحنا ٢٠/ ١٧.

(٣) متى ٢٧/ ٤٦.

(٤) باعتبار أن بطرس رئيس الحواريين.

وقد زعمتم أن [المسيح][1] صفعه اليهود في رأسه بالقصب [وضَفَّروا][2] على رأسه إكليلا من الشوك وألبسوه ثيابا حمرا وسقوه الخل عندما عطش، وأنتم في صلواتكم تبتهلون إليه بالأدعية، فما بالكم لا تقولون: يا من صفعه اليهود في رأسه وبصقوا في وجهه/ واقتسموا ثيابه بينهم بالقرعة واستعار على خشبته وقرن باللصوص - افعل بنا كذا! ١/٨٧/أ

- الدلالة على استعمال المسيح المجاز والاستعارات:

فإن تلاميذه كانوا [معافين][3] مما ابتلي به المتأخرون من النصارى قال متى: (بينا يسوع جالسا يتكلم على الناس إذ قيل له: أمك وأخوتك بالباب يطلبونك، فقال: من أمي ومن أخوتي، ثم أومأ بيده إلى تلاميذه وقال: هؤلاء هم أمي وإخوتي، وكل من صنع مشيئة أبي الذي في السماوات فهو أخي وأختي وأمي)[4].

قلت: هو ذا المسيح عليه السلام قد أعرب في التجوز والتوسع والاستعارة حتى سمى المطيع لله قريبا له من هذه الجهات فجعله أما له وأختاً وأخاً، وإذا كان النصارى لا يجرون على ظاهر هذا اللفظ، بل يحملونه على ما يليق به من التأويل فكذلك يلزمهم في لفظ البنوة والأبوة، فإنه كما يستحيل أن يكون آحاد الناس أما وأختا وأخا للمسيح فكذلك يستحيل أن يكون المسيح - وهو رجل من بني إسرائيل ينالـه من النفع والضرر ما ينال غيره من البشر - ابنا لله / القديم الأزلي. ١/٨٧/ب

---

(١) إضافة يقتضيها السياق. والظاهر أنها سقطت من الناسخ.

(٢) في ص (ظفروا) والصواب ما أثبته.

(٣) في ص (معافون) والتصويب من المحقق.

(٤) متى ١٢/ ٤٦ - ٥٠، مرقس ٣/ ٣١ - ٣٥، لوقا ٨/ ١٩ - ٢١.

فإن [هذى][1] هاذ منهم وقال: فإذا لم يكن له بُدٌّ من أب، فمن أبوه؟!

قلنا لـه: إذا لم يكن لآدم بُدٌّ من أب، فمن أبوه؟! فإذا قالـوا: إن آدم خلقه الله آية وأعجـوبة إذ خلقه من غير تناسل وتوالد، قلنـا: وكذلك المسيح خلقه الله تعالى آية وأعجوبة إذ خلقه من [غير أب][2]، فكم قد خلق الله سبحانه من الحيوان مـن غير توالد وتنـاسل معروف، وقـد ابتدأ اللـه العالم بأسره لاعن مثال سبق، فأي آيات الله تنكرون[3]؟!

واعلم أن إطلاق المسيح لفظ (البنوة) جرى فيه على عادة من تقدمه من بني إسرائيل، فإنهم كانوا يطلقـون هذه البنوة والربوبيـة والألوهية على المعظمين في الدين والمدبرين للأمم كقـول التوراة (إسرائيل ابني بكري) وكقول المزامير (داود ابني حبيبي) وقـولـه لـلأكـابـر من بني إسرائيل (أنـا قلت: انكم آلهة وبني العلاكلكـم تدعـون) وقول شعيا (تـوصوا بي في بنـي وبناتي) وقـول أشعيا (إني ربيت أولادا حتى نشأوا وكبروا).

فحـال المسيح منسـج على منـوال من سبقـه فقـال: (أنـا ذاهب / إلى أبي ١/٨٨/أ
وأبيكم) غير أن هـذه اللفطـة لم تأت إلا ومعهـا لفظ العبـوديـة ليـزول الإيهام ويحصل التشريف والإنعـام، والدليل على مـا قلناه من بنـوه شعيا النبي عليـه السـلام (إن اللـه تعـالى تهدد بني إسرائيل على جـرم فعلوه، فلما خـافـوا نـزول العقوبة قالوا في دعـائهم: اللهم ترأف علينا، وأقبل بوجهك إلينا، ولا تصرف

---

(١) في ص: (هذا) والصـواب ما أثبته، والهذيان هـو: الكلام غير المعقول لمرض أو غيره. (ر: القـاموس ص ١٧٣٤).

(٢) في ص: (غراب)، وفي ش: من تراب، اقتباس مـن قوله تعالى: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب . . . . .**﴾ الآية لكن فيه ما فيه كأن العبارة من غراب أو من تراب . أ . هـ.
قلت: الصواب ما أثبته، فهو الموافق لسياق الكلام، والتحريف حصل من الناسخ.

(٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿**ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون**﴾ سورة غافر / ٨١ .

رحمتك عنا فأنت هو الرب أبونا، فأما إبراهيم وإسرائيل فلم نعرفه، لكن أنت أبونا وقد ملنا عن طرقك، يا رب ارحمنا فنحن عبيدك)[1].

وقد رووا عن يوحنا الإنجيلي (أن من لابس المعاصي وانغمس في الخطايا فليس له في هذه الولادة من نصيب)[2].

فقالوا: قال يوحنا في خاتمة رسالته الأولى: (قد علمنا أن كل من هو مولود من الله لا يخطئ؛ لأن ولادته من الله وهو حافظه له من أن يقترب إليه الشرير)[3].

فإن صدق النصارى في هذا النقل فليس فيهم إذاً من يستحق هذه التسمية لأنه لا يكاد أحد منهم يخلص من ملابسة المعاصي واقتراف الخطيئة والإثم.

١/٨٨/ب فإما أن يبطلوا هذا / القول ويوصوا بفساده ليسلم لهم دعواهم البنوة، وإما أن يصححوه فيخرجوا عن بنوة الله التي يدَّعون بها، فقد حكم يوحنا وغيره من أئمتهم أن مَنْ ولد مِنَ الله لم يرتكب على نفسه ذنبا ولم يحتقب وزرا. فهكذا كان اعتقاد من يطلق لفظ الأبوة على الله ويُسِّمي نفسه (ابنا لله) إنما يجعل ذلك من باب التودد إلى الله والخدمة له، فلهذا لم يكن يضره إطلاقه، ولما جاء المتأخرون أكثروا من هذا الإطلاق وصاروا يوردونه على جهة الفخر والتزكية وتمجيد النفس فخوطبوا بالتكبر[4]، وقيل لهم في الكتاب العزيز ﴿**ما اتخذ الله من ولد**﴾[5].

---

(١) سفر أشعيا ٦٣/ ١٠ - ١٧ بألفاظ متقاربة.

(٢) رسالة يوحنا الأولى ٣/ ٤ - ٩ بنحوه.

(٣) رسالة يوحنا الأولى ٥/ ١٨.

(٤) قال الله تعالى: ﴿**وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير**﴾، سورة المائدة/ ١٨.

(٥) قال الله تعالى: ﴿**ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون**﴾ سورة المؤمنون/ ٩١.

- فأما [لفظتا][1] الإله والرب :

فالرب هو المربي باللطف والإحسان العائد بالعطف والامتنان، وهاتان اللفظتان قد تستعملان في حق العظيم من الآدميين تجوزاً وتوسعاً، لكن على جهة التقييد لا جهة الإطلاق، وقد قال أشعيا النبي : (عرف الثور من اقتناه والحمار مربط ربه ولم يعرف ذلك بنو إسرائيل)[2].

وهذه كتب القوم تشهد بأن المعلم / والمدبر والقيم يسمى ربا[3]، كما أن ١/٨٩/أ الرجل رب منزله وداره وبيته ورب ماله «قال نبينا ﷺ لرجل : أرب إبل أنت أم رب غنم؟! فقال : من كل آتاني الله فأجزل[4].

---

(١) في ص (لفظتي) والصواب ما أثبته.

(٢) ورد النص في سفر أشعيا ١/ ٣ كالآتي (الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما إسرائيل فلا يعرف . .). والفرق واضح بين النص الذي أورده المؤلف وبين النص المذكور حالياً في سفر أشعيا والظاهر أن عبارة (والحمار مربط ربه) كانت موجودة في نسخة المؤلف، ثم حرفت بعد ذلك في النسخ التي كتبت بعد زمن المؤلف. والله أعلم.

(٣) ذكر في قاموس الكتاب ص ٣٩٦ أن لفظة (رب) يقصد بها :
١- اسم الجلالة، وفي هذه الحالة تطلق على الأب والابن بدون تمييز سيما في رسائل بولس الرسول.
٢- وقد تستعمل بمعنى سيد أو مولى دلالة على الاعتبار والاكرام. أ. هـ.
ويحدثنا ستيفن نيل عن استعمالات كلمة (رب) في كتابه (من هو المسيح؟) ص ٤٩ فيقول : إن الكلمة اليونانية الأصلية التي معناه (رب) يمكن استعمالها كصيغة للتأديب في المخاطبة، فسجان فيلبي يخاطب بولس وسيلا بكلمة (سيدي أو ربي : أعمال ١٦/ ٣٠) ولكن يمكن أن تستعمل بمعنى أرفع وأرقى، وكانت تستعمل وصفا للإمبراطور في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية، كما كانت تستعمل أيضا لملوك اليهود.
وكانت اللفظة لقبا من ألقاب الكرامة خلع على كثير من الآلهة الوثنية وخاصة آلهة أديان الأسرار، ولهذا السبب ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ (الرب) أطلق أولا على يسوع في الجماعات الأممية الناطقة باليونانية وذلك لأنه هو الوصف الذي خلعوه على آلهتهم قبل أن يعتنقوا المسيحية، وكان من الهيّن على أولئك الأمم أن يقبلوا هذا اللقب الذي كان مألوفا لديهم. أ . ه.
ويعلق على ذلك الأستاذ محمد مجدي مرجان - الذي كان نصرانيا فأسلم - بقوله : والواقع أن لفظ (رب) يستعمل في كثير من المجتمعات، وخاصة في الأزمنة القديمة بقصد التكريم والتعظيم، ويتكرر اللفظ كثيرا في أسفار التوراة بمعنى سيد أو معلم. (ر: المسيح إنسان أم إله - محمد مرجان، ص ١٧٥).

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٥٩ مختصرا، والإمام أحمد ٤/ ١٣٦، ٥/ ٥٣، وعنه الطبراني في المعجم الكبير ١٩/ ٢٨٣، والحافظ أبي بكر الحميدي في مسنده (ح ٨٨٣) كلهم ==

والـدليل على ذلك من التـوراة قول إبـراهيم ولـوط للملك : (يـارب مِلْ إلى منزل عبدك)(١) ونحن والنصارى متفقون على عدم التعبد للملائكة وإنما أرادا الإجـلال في الخطـاب، وفي التـوراة يقـول اللـه لموسى : (قـد جعلتك إلهاً لفرعون)(٢) يريد مسلطا عليه ومتحكما فيه .

وفي التوراة (وقد شكا موسى لثغةَ في لسـانه وعجمة في منطقه فقال الله له : (قد جعلتـك ربا لهارون وجعلته لـك نبيا، أنا آمـرك وأنت تبلغه وهـو يبلغ بن إسرائيل)(٣) .

ولم يقل اللـه للمسيح : قـد جعلتـك ربـا وإلهاً، بل إنما ذلك شيء تَقَـوَّلـه النصـارى، فقول بطـرس للمسيح (يا رب) إن صح فهـو مُنَـزَّل منزلـة ربوبيـة مـوسى لهارون من حيث إن المسيح أيضـا مبلغ عن الله أوامـره كتبليغ مـوسى أخاه هارون .

١/ ٨٩/ ب وقـد قال داود في المزمـور الثاني والثمانين : (قـام الله في جماعـة الآلهة/)(٤)، وقال فيـه وهو يعنف الأكابر من بني إسرائيل : (أنـا قلت إنكم آلهة وبني العلا

== من طريق سفيان بن عيينة قال : ثنا أبو الزعراء عمرو بن عمرو عن عمه أبي الأحوص عن أبيه مالك بن نضلة الجشمي قال : أتيت النبيﷺ فصعـد في النظر وصوب وقال : أرب أبل أنت أو رب غنم؟ قال : من كل قد آتاني فأكثروا طيب . . إلخ» وقال الحافظ في الإصابة ٦/ ٣٥ : سنده صحيح .

(١) سفر التكوين ١٨/ ١-٣ كالآتي (وظهـر له الرب عند بلوطات ممرا وهـو جالس في باب الخيمة . . . وقـال : يـا سيد إن كنت قـد وجـدت نعمـة في عينيك فـلا تتجاوز عبـدك) . وورد في نفس السفـر ١٩/ ٢ أن لوطا عليه السلام قال للملكين : (يا سيديَّ ميلا إلى بيت عبدكم . . .) .

(٢) سفر الخروج ٧/ ١ .

(٣) سفر الخروج ٤/ ١٦ ، ٧/ ١ , ٢ بألفاظ متقاربة .

(٤) مزمور ٨٢/ ١ .

تـدعـون)[1]، وفي المزامير أيضـاً في حق يـوسف (فخـلاَّ الملك يـوسف وصيَّره سلطاناً على شعبه رباً على بنيه)[2] يريد القيم عليهم والمدبر لأمورهم.

وقد قال يـوسف للساقي عندما فسر له رؤيـاه: «اذكرني عند ربك»[3] يريد مدبرك والقيم عليك.

وإذا عرفت ذلـك سهل عليك ما يهتف بـه النصارى من تسميـة المسيح ربا وإلهاً، وعـرفت كيف تكسر حجتهم بتأويل هـذه الألفاظ، وقـد قال شمعـون الصفا رئيس الحواريين: (إن الله جعل أيسوع ربا)[4] يريد وَكَل تدبير أصحابه إليه، إذ الرب لا يقال إن غيره جعله وصيره ربا وإلهًا، فما نرى شمعون الصفا زاد المسيح في ذلك على مـا قـالت التـوراة: (إن الله جعل مـوسى ربـا لهارون وإلهاً لفـرعون) ولم يتجـاوز بـه أيضا قـول المزامير (إن يـوسف صار ربـا للملك) وفي الإنجيل (إن الكلاب لتأكل من موائد أربابها)[5].

---

(١) مزمور ٨٢/ ٦.

(٢) مزمـور ١٠٥/ ٢٠، ٢١ ونصه كالآتي (أرسل الملك فحلـه، أرسل سلطان الشعب فأطلقه، أقـامه سيدا على بيته ومسلطا على كل ملكه).

(٣) قال تعـالى: ﴿**وقال للـذي ظن أنه نـاج منهما اذكرني عنـد ربك فأنسـاه الشيطان ذكر ربـه فلبث في السجن بضع سنين**﴾ سورة يوسف / ٤٢.

قال شيخ الإسـلام: فإن قيل: لا ريب أن يوسف سمى السيـد ربا في قـوله «**اذكرني عند ربك**» و «ارجع إلى ربك» ونحو ذلك. وهذا كان جائزاً في شرعه، كما جـاز في شرعه أن يؤخذ السارق عبدا، وإن كان هذا منسوخا في شرع محمدﷺ. اهـ. (ر: الفتاوى ١٥/ ١٨٨).

(٤) سفر أعمال الرسل ٢/ ٣٦.

(٥) متى ١٥/ ٢٧، مرقس ٧/ ٢٨.

وقد روي عن سلمان[1] الفارسي أنه قال: (تداولني بضعة عشر من رب إلى رب)[2] وإنما / يريد المرشدين والمدبرين له. ١/ ٩٠/ب

وقد يكون الرب بمعنى السيد، قال الأعشى:

وَأَهْلَكْن يوماً رَبَّ كِنْدَةَ وابنَه وَرَبَّ مَعَدّ بين خَبْتٍ وَعَرْعَرِ[3]

---

(١) سلمان أبو عبد الله الفارسي رضي الله عنه ويقال له سلمان بن الإسلام وسلمان الخير الصحابي المعروف، له ستون حديثا.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب (٥٣) (ر: فتح الباري: ٧/ ٢٧٧) وابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ٢٢١، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٩٥ عن سلمان الفارسي (أنه تداوله بضعة عشر من رب إلى رب) واللفظ للبخاري.

قال الحافظ: أي من سيد إلى سيد، وكأنه لم يبلغه حديث أبي هريرة في النهي عن إطلاق رب على السيد، عن النبيﷺ أنه قال: (لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضىء ربك وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي). أخرجه البخاري ٥/ ١٧٧، ومسلم ٤/ ١٧٦٤.

وقال الحافظ: وفيه نهي العبد أن يقول لسيده: ربي، وكذلك نهي غيره فلا يقول له أحد: ربك، والسبب في النهي أن حقيقة الربوبية لله تعالى؛ لأن الرب هو المالك والقائم بالشيء فلا توجد حقيقة ذلك إلا لله تعالى. قال الخطابي: سبب المنع أن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد لله وترك الاشتراك معه، فكره له المضاهاة في الاسم لئلا يدخل في معنى الشرك، ولا فرق في ذلك بين الحر والعبد، فأما ما لا تعبد عليه من سائر الحيوانات والجمادات فلا يكره إطلاق ذلك عليه عند الإضافة كقوله رب الدار ورب الثوب، وقال ابن بطال: لا يجوز أن يقال لأحد غير الله رب، كما لا يجوز أن يقال له إله. وقال الحافظ: ويحتمل أن يكون النهي للتنزيه وما ورد من ذلك فلبيان الجواز - يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام في أشراط الساعة: (أن تلد الأمة ربها) - ، وقيل: هو مخصوص بغير النبيﷺ ولا يرد ما في القرآن، أو المراد النهي عن الإكثار من ذلك واتخاذ استعمال هذه اللفظة عادة، وليس المراد النهي عن ذكرها في الجملة. اهـ.

(٣) البيت من شعر لبيد بن ربيعة العامري وليس للأعشى كما ذكر المؤلف (ر: شرح ديوان لبيد بن ربيعة ص ٥٥ تحقيق د. إحسان عباس، ط سلسلة التراث العربي، وزارة الارشاد والأنباء في الكويت - سنة ١٩٦٢م، ر: لسان العرب ١/ ٣٩٩، تاج العروس ١ ٪ ٢٦٠، وتفسير الطبري ١/ ٦٢، و ر: ترجمة لبيد بن ربيعة ت سنة ٤١ في الأعلام للزركلي ٥/ ٢٤٠).

ويكون أيضا الرب بمعنى المالك قال طرفة[1]:

كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد[2]

ويكون أيضا الرب بمعنى المربي من قولهم رَبَّ يَرُبُّ فهو رَبٌّ[3].

قال الشاعر:

يَرُبُّ الذي يأتي من الخير أنه متى فعل المعروف زاد وتمما[4]

ويكون أيضا بمعنى المصلح للشيء، قال الشاعر:

كانوا كسالِئَةٍ حَمْقاء إذ حقنت سلاءها في أدِيمٍ غَيْرَ مَرْبُوب[5]

ويقال للشمس إلهة، قال الشاعر:

وأعجلنا الإلهة أن تؤوبا[6]

ويقال: ألهت إلى فلان، إذا فزعت إليه واعتمدت عليه، وقيل: هو من ألهت فيه إذا تحيرت فيه فلم تهتد إليه، فقول بطرس (يا رب) يريد يا مدبر أمرنا والقيم علينا.

---

(١) طرفة بن العبد البكري الوائلي، أبو عمرو، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. (ر: ترجمته في الأعلام ٣/ ٢٢٥).

(٢) ورد البيت في ديوان طرفة ص ٢٢ شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى سنة ١٤٠٧هـ. و ر: شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ص ٨٧، تصحيح عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، ط الأولى سنة ١٤٠٥هـ.

(٣) رَبَّ فلان ولده يَرُبُّه رَباً، وربَّبه، وتربيَّه، بمعنى أي رَبَّاه (ر: الصحاح ١/ ١٣٠).

(٤) ورد البيت في لسان العرب ١/ ٣٨٦، وتاج العروس ٣/ ٢٦١ غير منسوب، وقد أنشده ابن الأنباري كالآتي: يرب الذي يأتي من العرف أنه . . إذا سئل المعروف زاد وتمما.

(٥) ذكره الطبري في تفسيره ١/ ٦٢ ونسبه إلى قول: الفرزدق بن غالب، وورد في لسان العرب١ / ٣٩٠ كالآتي: (سلالها في أديم غير مربوب، أي غير مصلح).

(٦) ذكره الجوهري في الصحاح ٦/ ٢٢٢٤ وقال أنشدني أبو علي:

تروحَّنا من اللعباء قصرا وأعجلنا الإلهَة أن تؤوبا

وقول أشعيا (هوذا العذراء تحبل وتلد ولدا عمانويل الذي تفسيره إلهنا)[1] محمول على بعض هذه المحامل / إن صح نقلهم عن أشعيا هذا اللفظ بعينه . ١/ ٩٠/ب

وقد فسر علماء الإنجيل قول مريم المجدلانية للمسيح (ربوني)[2] بالمعلم، والمعلم والمربي والمدبر بمعنى واحد[3].

وقد صرح يوحنا الإنجيلي بأن الألوهية ليست على ظاهرها فقال في إنجيله: (جلس يسوع في إسطوان سليمان بأورشليم فأحاطت به اليهود وتناولوا الحجارة ليرجموه وقالوا: حتى متى تعذب نفوسنا؟ فقال: أريتكم أعمالا حسانا من عند الله، أفمن أجل الأعمال [ترجونني][4] ؟! فقالوا: إنما نرجمك لأنك بينا أنت إنسان إذ جعلت نفسك إلهاً، فقال يسوع: أليس هكذا مكتوب في ناموسكم (إني قلت إنكم آلهة وبني العلا تدعون)[5] فإذا قيل لأولئك (آلهة) لكون كلمة الله عندهم، فالذي قدَّسه الله وأرسله إلى العالم، كيف تقولون إنه يجدف)[6].

فقد اعترف يوحنا والمسيح بأن الألوهية متروكة الظاهر، وإن إطلاقها عليه كإطلاقها على العلماء والحكماء والمدبرين من بني إسرائيل، وقد صرح في هذا

---

(١) أشعيا ٧/ ١٤ .

(٢) يوحنا ٢٠/ ١٦، ١٧ والنص كالآتي: (قالت له: ربوني، الذي تفسيره يا معلم . . . . .)

(٣) علق محمد مجدي مرجان ص ١٧٤ على النص السابق وعلى ما ورد في إنجيل يوحنا ١/ ٣٨، ٣٨ بقوله: لم يشأ يوحنا أن يطلق كلمة (رب) على عيسى من غير تفسيره، فقد خشي أن يتصور الناس أن عيسى إله أو بعض إله، ففسر يوحنا الكلمة في صلب الإنجيل نفسه بأنها تعني المعلم، فعيسى بالنسبة لتلاميذه هو معلمهم وأستاذهم.

(٤) في ص (ترجوني) والصواب ما أثبته.

(٥) نص مقتبس من مزمور ٨٢/ ٦ ونصه (قلت: إنكم آلهة وبنو العلي كلكم).

(٦) يوحنا ١٠/ ٢٢ - ٣٦ في سياق طويل وقد اختصر بعضه المؤلف وذكره بالمعنى.

الكلام بأنه ليس هو الله، ولا الله حـال / فيه، وأن الله قدسه أي طهره وأرسله ١/٩١/أ
إلى العالم، وكذلك يفعل بسائر الأنبياء والرسل(١).

ولـو كان المسيـح هو اللـه، كقـول الجهلة من النصـارى للـزم اتحاد المُرْسِل والرسول والمُقدَّس.

قال فولس في رسائله: (وقد يعـرفون نعمة سيدنا يسوع المسيح إذ تَمَسْكن من أجلكم وهو غني، لكي تستغنوا بمسكنته)(٢).

فشهـد فـولس بأن المسيح رجل من عبـاد اللـه يتواضـع لله كـدأب أوليـائه وصفوته.

- وقد استشهد النصارى على ربوبية المسيح بقصة الكنعانية:

قال متى: (حضر إلى يسوع امرأة كنعـانية فقالت: إن ابنتي بها شيطان رديء فعسى تتعطف عليهـا، فلم يجبها فسألـه التلاميـذ أن يقضي حاجتهـا فقال: لم أرسل إلا للخراف الضالة من بيت إسرائيل. فجـاءت المرأة وسجدت له وقالت لـه: يا رب أَعِنِّي. فقـال: ليس بجيـد أن يؤخـذ خبز النبيين فيعطى للكـلاب فقـالت: نعم يا رب والكـلاب أيضا تأكل من الفتـات الذي يسقط من مـوائد

---

(١) يقـول محمد مجدي مـرجان في كتـابه السـابق ص ١٧٢: يطلق لفظ (إلـه) في الكتب المقدسـة على بعض الأنبياء على سبيل المجاز تعبيرا عن قربهم من الله كسائر أبناء الله الصالحين والبشر المؤمنين، يقول عيسى موضحا المجاز: (إنما بنوة الله بالأعمال). ويقول لأتباعه عند صعوده إلى السماء وانقاذه من أعـدائه: (إني أصعـد إلى أبي وأبيكم إلهي وإلهكم). نعم فبنـوة اللـه ليست بـاللحم والـدم، وليست بالتنـاسل والتوالد إنما بـالعمل الصالح، وكلما صـدق الإيمان وثبت اليقين وحسنت النيات والأعمال كلما زاد اقتراب الإنسان من خالقه، وصار قريبـا من ربه وكأنه ابنه، فنحن أبناء الله وصنع يديه. أ.هـ.

(٢) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٨/ ٩.

١/٩١/ب أربابها، فحينئذ عطف/ عليها وقال [: يا امرأة عظيم إيمانك، ليكن لك كما تريدين][١]، فشفيت ابنتها من تلك الساعة)[٢].

قال النصارى: سجدت له [المرأة][٣] وخاطبته بالربوبية، وذلك دليل على ربوبيته إذ لم ينكر عليها، بل تقريرها وشفاء ابنتها من أوضح الأدلة على ربوبيته.

وسبيل من وقف على ذلك أن يعارض قول الكنعانية له (يا رب) بقولها (والكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من موائد أربابها) فقد جعلت ملاك الكلاب [أربابا][٤] لهم ولم ينكر عليها أيضا.

وكذلك فليعارضوا بقوله (ليس بجيد أن يؤخذ خبز النبيين فيعطى للكلاب) فقد سمى الكفار من بني آدم كلابا، وقد سمى الدعاء والشفاء خبزا، وذلك كله دليل التجوز والتوسع، وإذا كان ذلك كله جائزا على المعنى، فالربوبية والبنوة أيضا جائزة على طريق المعني، فإن أحالوا أن يكون الآدمي كلبا فليحيلوا أن يكون ربا. وأما سجودها له ولم ينكر عليها فذلك كان سلام القوم وتحيتهم في
١/٩٢/أ الزمن الأول على عظمائهم وأكابرهم/، والدليل عليه أن التوراة تنطق (بأن أخوة يوسف حين عرفوه سجدوا له طالبين قدميه)[٥] وكذلك قالت التوراة (أن إفرام ومنسى [ابني][٦] يوسف سجدا لجدهما يعقوب بحضرة أبيهم يوسف)[٧]، فلن ينكر عليهم.

---

(١) في ص (يا مرأة عظيمة أمانيك يكون لك ما أردتي) والتصويب من النص.
(٢) متى ١٥/ ٢٢ - ٢٨.
(٣) إضافة يقتضيها السياق.
(٤) في ص (أربا) والتصويب من المحقق.
(٥) سفر التكوين ٤٢/ ٦.
(٦) في ص: (ابنا) والتصويب من المحقق.
(٧) تكوين ٤٨/ ٨ - ٢١.

وقد قالت التوراة: (إن إبراهيم ولوطا سجدا للملائكة على الأرض)[1] فلم ينهوا عن ذلك. (وقد ساوم إبراهيم قوما في أرض لهم ليدفن فيها سارة فلم يكلمهم، ولم يساومهم حتى سجد لهم مرتين)[2] على ما في التوراة، فبطل تعلقهم بسجود المرأة للمسيح.

وقال المؤلف عفا الله عنه: قصة هذه الكنعانية التي استدلوا بها على الربوبية هي من أدل الدلالة على عدم الربوبية، وبيانه: أنها جاءت إلى المسيح مؤمنة به، سالكة طريقه في التواضع، معتقدة أن معجزته لا تعجز عن شفاء ابنتها. وهو فلم يَعْلَمْ بما انطوى عليه ضميرها من الإيمان به، ألا تراه كيف جابهها بالرد؟! وقال: ليس بجيد أن يؤخذ خبز البنين فيعطى للكلاب، فلما قالت له ما قالت ظهر له من إيمانها ما كان مستورا/ عنه وبدا له من معتقدها ١/ ٩٢/ب فيه مالم يكن في حسابه، فحينئذ قضى حاجتها وشفى ابنتها.

- دليل من قوله على أن ما يفعله بقوة الله وحوله:

قال مرقس: (قال رجل ليسوع: يا معلم قد جئتك بابني وبه روح أبكم حيثما أدركه صرعه وسألت تلاميذك فلم يقدروا على إخراجه، فقال يسوع: آتوني به، فلما رآه قال لأبيه: مُذْ كم أصابه هذا؟ فقال: منذ صباه فتاره يلقيه في الماء وتاره يطرحه في النار، فإن استطعت فأعنا وتحنن علينا، فقال يسوع: كل شيء يستطيعه المؤمن، فبكى أبو الصبي وقال: أنا مؤمن فأعن ضعف إيماني، فانتهر يسوع الروح وقال: أيها الروح النجس الأبكم الأصم اخرج من الإنسان، فخرج، وصار الصبي كالميت وأخذ يسوع بيده وأقامه فقال

---

(١) تكوين ١٨/ ١, ١٩٢/ ١.

(٢) تكوين ٢٣/ ٢ - ١٢.

التلاميذ: لم لم نقدر نحن على إخراجه؟ فقال يسوع: إن هذا الجنس لا يستطاع إلا بصوم وصلاة، وخرج يسوع من هناك إلى الجليل مسترا)[1].

١/٩٣/ب قلت: إن قدح اليهود في هذه الآية، قيل لهم: ألم تروا/ لنا (أن موت الفجأة وقع في بني إسرائيل بغتة فقتل منهم أربعة وعشرين ألفا وسبعمائة رجل، فأمر موسى هارون أن يضع في المجمرة بخورا وقام بين الأموات والأحياء فأمسك الموت الفاشي عن بعضهم)[2]. ؟!

فما الدليل على صحة ما نقلتم من هذه الآية ولعلها زور وكذب ومينٌ[3] وإفك؟ فإذا قالوا: قد ثبت أن الناقلين لهذه الآية انتهوا في الكثرة إلى حد يستحيل منهم التواطؤ على الكذب، قيل لهم: وكذلك آية المسيح نقلها من يستحيل تواطؤهم على الباطل فاستوت الحال.

وإن زعم النصارى أن ذلك يصلح للدلالة على ربوبيته، قيل لهم: لا تتعرضوا للاستدلال بهذه القصة على ربوبية المسيح البته، فهي من إحدى الشواهد على عبوديته وبيانه من وجوه:

أحدها: قوله لأبي الصبي (منذ كم أصابه الجني) فإن ذلك مشعرٌ بعدم علمه بالزمن الذي علقه الجني فيه، إذ لو كان ربه وإلٰهه كما يزعم النصارى لكان هو الذي ابتلاه ولَما عَلِقَه الجني دون إذنه وعلمه، فعدم علمه
١/٩٣/ب بالوقت الذي لبسه فيه دليل / على عبوديته، إذ الغيب لا يعلمه إلا الله

---

(١) مرقس ٩/ ١٧ - ٣٠.

(٢) سفر العدد ١٦ / ٤٢ - ٥٠ في سياق طويل وقد ذكره المؤلف مختصرا، وقد ورد في النص أن الذين قتل من بني اسرائيل أربعة عشر ألفا وسبعمائة، وليس كما ذكره المؤلف، والظاهر أنه تحريف من الناسخ.

(٣) المين: الكذب، وجمعه (ميون). (ر: مختار الصحاح، ص ٦٤١).

الواحد جل وعلا، وقد مضى نظائر ذلك إذ قد سئل عن يوم القيامة، (فقال: لا أعلمها ولا يعلمها إلا الله الواحد)(١).

والثاني: قوله (كل شيء يستطيعه المؤمن) أراد إنما يصدر منه من شفاء المرضى وسائر الآيات إنما كانت لإيمانه بالله واهب القوي وما حي أثر الداء بالدواء.

والثالث: قوله للتلاميذ: (إن هذا الجنس لا يستطاع إلا بصوم وصلاة) يدل على أن المسيح تقدم في الصوم والصلاة والعبادة إلى حد أربى فيه على غيره من عبيد الله. وفي بقية الفصل ما دل على خوف يسوع وتواريه وعجزه عن مقاومة مناوئيه، وهو أنه بعد قيام الفتى من صرعته خرج إلى الجليل فارا من ساعته، والكلمة الأزلية لا تعتورها نقائص البشرية.

كذب النصارى في دعوى بنوة المسيح:

قال مرقس: (خرج يسوع وتلاميذه إلى البحر وتبعه جمع كبير فأبرأ أعلالهم فجعلوا يزدحمون عليه ويقولون: أنت هو ابن الله، فكان ينهاهم وينتهرهم)(٢).

قلت: أعلم / أن هذا الكلام لو كان إيمانا من قائله لم ينهه المسيح، وكيف ١/ ٩٤/ ب
ينهى عنه، وإنما جاء لنشر الدين وبث الحق اليقين، والأمر بالكتمان ينافي الإعلان بالإيمان؟

فلو أن قول أهل زمانه (أنت ابن الله) توحيد لم ينههم عن التوحيد، لكنه إنما نهاهم لمخالفة نص الإنجيل إذ قال فيه لوقا: (إن المسيح هو ابن داود وأن

---

(١) مرقس ١٢/ ٣٢.
(٢) مرقس ٣/ ٧ - ١٢ بألفاظ متقاربة.

الرب يجلسه على كرسي أبيه داود)[1] وذلك بشهادة جبريل عليه السلام. وإذا كان المسيح إنما هو ابن داود، فكيف لا ينهاهم عن قول ما لا يحسن قوله؟! فإن قال النصارى: إنما نهاهم خوفا من اليهود أن يفطنوا به إذ كانوا يرومون قتله.

قلنا: ألم تزعموا أنه إنما تعنى ونزل إلى الأرض ليقتل إيثارا لكم وتخليصا من العذاب الذي ورطكم فيه آدم بتعاطي الخطيئة؟! أفترونه ندم على ذلك؟! فهو يستتر ويتوارى خوفا من القتل، أفتصفونه بالبداء والندم والجهل بعواقب الأمور؟! لقد كاد الله هذه العقول وحاد بها عن سواء السبيل.

١/ ٩٤/ب - نوع منه آخر: قال لوقا: (كان كل من له مريض يجيء به إلى يسوع/ فيضع يده عليه فيبرأ فيقولون له: أنت ابن الله، فكان ينتهرهم ولا يدعهم ينطقون بهذا)[2] انظر رحمك الله إلى انتهار المسيح من ينطق بلفظة البنوة ليعلم أن النصارى اليوم معرضون عن إنجيله سالكون غير سبيله.

فقد شهد لوقا بمثل ما شهد به مرقس، فإن زعموا أنه إنما نهاهم خشية اليهود قيل لهم: لو كان ذلك كذلك لما أكثر من فعل الآيات وفي فعلها وإظهارها ما يوجب شهرته وظهوره، فلما أكثر من المعجزات وأشاع فعلها دل على كذبكم في أنه نهاهم خشية أن يفطن به، بل إنما نهاهم لنص الإنجيل وبيان جبريل، حيث يقول: (إن يسوع هو ابن داود)، فلذلك لم يرض منهم بهذا الإطلاق.

وقد قال متى في إنجيله: (هذا ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم)[3] فشهد - وهو الصادق عندهم - أن أبا المسيح هو داود، وذلك رد على من زعم من النصارى أنه ابن الله - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

---

(١) لوقا ١/ ٣٢.
(٢) لوقا ٤/ ٤٠، ٤١.
(٣) متى ١/ ١.

فإن قيل: ساعدتمونا على ترك العمل بظاهره إذ سلمتم أنه مولود / من غير ١/ ٩٥/أ
أب، فكيف توردون علينا بنوة داود؟ وإذا كنتم لا تقولون بذلك فقد سُلِّم لنا مرادنا. قلنا: النسبة نسبتان، نسبة تعريف ونسبة تشريف، فالأولى: هي نسبة الإنسان من والده الذي هو أصله، والثانية: هي نسبته من والد والده الذي هو أصل أصله، فالمسيح منسوب إلى داود النسبة الثانية - التي هي نسبة تشريف - وهي كنسبة داود إلى إبراهيم، ثم مريم أم المسيح[1] من نسل داود، وداود من نسل يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

وإذا كان المسيح بن داود بهذه النسبة بطل ما ذهبتم إليه من الضلال وانتحال المحال.

فان قيل: إن كان قد روى مرقس ولوقا - من أصحابه - نهيه من ينطق بلفظ البنوة فقد قال هو: (إني ذاهب إلى أبي وأبيكم).

قلنا: فبذلك نستدل على اضطراب النقل وضعفه، إذ لو كان صحيحا لم يختلفوا فيه، وإذا كان بعض الإنجيل يقول إن المسيح بن داود، وبعضه يقول: لا، بل هو ابن يوسف، وبعضه يقول: بل هو ابن الله، لم تحصل الثقة بقول واحد لا سيما والمسيح يقول/: (إني ذاهب إلى إلهي وإلهكم) ويقول في ١/ ٩٥/ب
زعمكم: (إلهي إلهي لم تركتني؟). فالمسيح يقول: إن الله إلهه وربه، وأنتم تقولون: لا، بل هو ابنه، لقد تباعد ما بينكم وبين المسيح.

مسألة: زعم النصارى أن يسوع إنما جاءهم لينصرهم على اليهود ويطلع عليهم بالثالوث شموس السعود.

---

(١) ورد في قاموس الكتاب ص ٧٥٦ أن مريم العذراء من سبط يهوذا من نسل داود (قارن لوقا ١/ ٣٢ و٦٩، رومية ١/ ٣، ٢، الرسالة الثانية ليتموثاوس ٢/ ٨، وعبرانيين ٧/ ١٤).

فيقال لهم: يا عباد الرجال وربات الحجال[1] إن كان الأمر على ما تصفون فقد كان يقضي أمره على ألسن رسله والحال صالحة، وميزان التوحيد بطاعات العبيد راجحة، والخلائق مقبلون على أنبيائهم إقبالهم على آبائهم وأبنائهم، فما الذي دعاه إلى نزوله عن مجده الرفيع وعِزِّه المنيع إلى حضيض النصب ومقر الآفات والوصب؟!، فيولج بطن امرأة من إمائه ومكث برحمها منغمسا في المشيمة على حال ذميمة، ثم ولدوه وأرضعته وفضلته وأدبته فأمرته بحقوقها ونهته عن عقوقها، وترددت به إلى الأعياد والمواسم وأرته الشعائر والمعالم، ولم
١/٩٦/أ تزل تلقنه وتثقفه حتى شب وترعرع وتشوَّف/ إلى حنكة الرجولية وتطلع، فلما شرع فيما جاء له من نصرتكم وثب عليه اليهود فكذبوا فمه وأهدروا دمه، وأقصوه وشردوه وكدروا عليه روح الحياة ونكدوه، وأجمعوا أن يخربوا جثمانه ويفسدوه، فلما طال عليه تمردهم أعمل مطايا الحذار وعَوَّل على معقل الاستتار في الحذار، وتقدم إلى أصحابه ألا يذكروه وأن يبالغوا في طي أمره فلا ينشروه بل ينكروه، ولم يزل ذلك حاله واليهود تنقب عليه وترشي من يرشدها إليه، حتى دل عليه صاحبه يهوذا، وساق إليه من أعدائه جمعا كثيفا وأنزل به من الذعر خطبا منيفا، فأنشبوا فيه مخاليب الضراب، وأمطروه شآبيب العذاب، وسحبوه على شوك السفاه والسباب، وبقي هذا الإله المسكين في أيدي اليهود ممتهنا يرون أقبح ما يأتونه إليه حسنا، فلما بلغوا من إهانته المراد. مضوا به إلى بقعة من الأرض تزعم النصارى أنه دحاها وألزموه حمل خشبة
١/٩٦/ب قالوا: [إنه][2] أنبت لحاها،/ وألبسوه أثوابا كان قد صنع ورسها[3] وأصهروه شمساً هو الذي أسخن مسها، فسألهم شربة من الماء - الذي فجره - حين

(١) الحجل: هو الخلخال. (ر: مختار الصحاح، ص ١٢٤).
(٢) في ص: (إنها) والتصويب من المحقق.
(٣) (ورَّسه توريساً: صبغه به (ر: القاموس ص ٧٤٧).

وقفت نفسه لدى الحنجرة [فضنوا][1] عليه بذلك، وعوَّضوه الخل مما هنالك، فلما تضافرت عليه فوق جذعةٍ الدواهي أعلن بقوله: إلهٰي إلهٰي، وصار بين اللصوص ثالثة الأثافي[2]، وعُوِّض عن بلوغ المنى بالمنافي، ثم زهقت نفسه وفتح رمسه[3] وصار في صدر الأرض سرا مكتوما، وعاد هذا الإله العظيم عديما، ولما تمت له ثلاثة أيام في الرخام، قام من ذلك المكان ورجع إلهاً كما كان، فتلبَّس الحال الوبيل[4] وادَّرع[5] الذل العريض الطويل، ولم يؤمن به إلا عصابة هي أقل من قليل.

فما أرى هذا الإله إلا نايل[6] الرأي فاسد الحس فطير[7] الفطرة مشؤوم الغرة[8] منقوص الهمة مظلم الفكرة[9]، إذ عرض نفسه للمحن وأثار بين عباده الأحقاد والإحن، فلقد شان الربوبية وأزل بهجتها وطمس نورها وأطلق ألسن السفلة بنقصها، وثلبها حتى لقد شكك كثير/ منهم في الربوبية وسَهَّل ١/٩٧/أ

(١) في ص: (فطنوا) والتصويب من المحقق.

(٢) الأُثْفِيَة: الحجر توضع عليه القدر، جمعه: أثافي وأُثَف. ورماه الله بثالثة الأثافي، أي بالجبل، والمراد: بداهية، وذلك أنهم إذا لم يجدوا ثالثة الأثافي أسندوا القدر إلى الجبل. (ر: القاموس ص ١٦٣٦).

(٣) الرَّمس: الدفن والقبر، جمعه: أَرْمَاس ورُمُوس (ر: القاموس: ص ٧٠٨).

(٤) وبيل: أي ثقيل وخيم. (ر: مختار الصحاح ص ٧٠٧).

(٥) أدرع: أي لبس. (ر: م. ن ص ٢٠٣).

(٦) هكذا في الأصل، والذي أراه أن الكلمة الصحيحة هي (مائل) وقد حصل لها تحريف من الناسخ والله أعلم.

(٧) الفطير: ضد الخمير وهو العجين الذي لم يختمر، وكل شيء أعجلته عن إدراكه فهو فطير، يقال: اياك والرأي الفطير. (ر: مختار الصحاح، ص ٥٠٧).

(٨) غُرَّة كل شيء أوَّله وأكرمه، والغِرَّة: الغفلة.

(٩) إن هذه الصفات القبيحة التي ذكرها المؤلف لازمة للإله الذي يعبده النصارى وذلك بحسب ما ورد في أناجيلهم المقدسة عندهم.

عليهم ارتكاب مذاهب الدهرية[1]. وسلَّهم من ربقة العبودية بالكلية، فسحقاً سحقاً لإله هذه حكمته ومحقاً محقاً لرب هذا تدبيره.

فلو أن إنسانا نشأ ببعض الجزائر المنقطعة عن العمران لا يعرف ربا ولا يقرأ كتبا، ولا يدين بملة عرض عليه دين النصارى، فقيل له: إن لك ربا خلقك وأبدعك، ومن صفته أنه رجل مثلك يبول ويغوط ويبصق ويمتخط ويجوع ويعطش ويعرى ويكتسي ويسهر وينام، وسارع مع الأنام الكلام وأن إنسانا مثله حقد عليه بعض الأمر فضربه وسحبه، ثم قتله وصلبه بعد أن حطم شعره ولطم نحره، فجاور الأموات وتعذر عليه روح الحياة وفات.

---

(١) الدهرية: أنكروا الخالق والرسالة والبعث والإعادة، وهم الذين أخبر عنهم القرآن الكريم ﴿**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر**﴾ سورة الجاثية / ٢٤. وزعموا بأن العالم قديم لم يزل ولا يزال، وما ثم إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع، وسماء تقلع . . . إلخ. ويسمون بالملاحدة.

ودهرية زماننا يسمون بالشيوعية الماركسية والاشتراكية والوجودية.

(ر: الفصل - لابن حزم ١/ ٤٧، الملل - للشهرستاني ٢/ ٣، ٢٣٥، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان - للسكسكي الحنبلي ص ٨٨، إغاثة اللهفان - لابن قيم الجوزية ٢/ ٢٥٥).

إن ما ذكره المؤلف - في زمنه - من اعتناق كثير من النصارى لمذهب الدهرية والإلحاد وإنكار الربوبية وأنه ناتج عن عقيدة النصارى السخيفة التي لا يقبلها عقل صحيح ولا فطرة سليمة - نجده واضحا وبارزا في زماننا حيث أخذت العقيدة الدينية في الذبول وأصبح الإلحاد مفخرة الأندية حتى أندية الكنيسة نفسها، وظهرت الشعارات الإلحادية المختلفة فكان شعار الثورة الفرنسية (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس)، وشعار الثورة الشيوعية (الدين أفيون الشعوب)، وشعار العلمانية (فصل الدين عن الحياة والدولة). وقد مليء الفراغ العقدي عند النصارى بالاتجاه الوثني الروماني الذي تمثله في العصر الحديث الأفكار المادية، فنشأت في المجتمعات والبلاد النصرانية المذاهب المادية الهدامة كالشيوعية الماركسية والبرجماتية والوجودية والدارونية والفريدوية وخلافها من الأمراض العقلية التي أنتجها العقل البشري المريض، وذلك يفسر لنا الانحلال الاجتماعي الرهيب والانهيار الأسري والخلقي والروحي في المجتمع الغربي النصراني.

لا ستنكف الرجل أن يعترف بوجود هذا الإله فضلا عن أن يتعبد له ولأحال تصوره ولرأى لنفسه عليه فضلا لا ينكر ومزية من حقها أن تذكر فتشكر(١).

قال المؤلف: ليس في النصارى من يجحد مما ذكرته في هذا الفصل حرفا واحدا بل قد / مدوا أعناقهم للذل، وأسلبوا آذانهم للخزي وأنسوا بسماع ١/ ٩٧/ ب التوبيخ، واستلانوا ملابس التقريع، فهم يتلون هذا الفصل تلاوة [المتبجح](٢) ويبتهجون به ابتهاج [المُنْجح](٣)، فالحمد لله الذي حَصَّننا بمعقل العقل عن سلوك هذا المذهب و[أنار لنا](٤) بدهن الذهن [حلوك](٥) هذا الغيهب.

---

(١) ذكر أبو عبيدة الخزرجي في كتابه (مقامع هامات الصلبان ص ١٢٣)، والقرطبي في (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٦٧) ما وصف أحد ملوك الهند - وكان من الملوك الذين يحكمون بالسياسة الدينية الذين لم يتقلدوا اتباع ملة دينية - وقد ذكرت له الملل الثلاث فقال: أما النصارى - وإن كان مناصبوهم من أهل الملل يجاهدونهم بحكم شرعي فلقد أرى ذلك بحكم شرعي، وإن كنا لم نر بحكم عقولنا قتالا ولكن استثني هؤلاء القوم من جميع العالم، فإنهم قصدوا مضادة العقل وناصبوه العداوة، واستحلوا بيت الاستحالات مع أنهم حادوا عن المسلك الذي انتهجه غيرهم من أهل الشرائع، وقد كان لهم فيهم كفاية ولكنهم شذوا عن جميع مناهج العالم الشرعية الصالحة والعقلية الواضحة، واعتقدوا كل مستحيل ممكنا فلم يُعرَف عنهم شيء، وبنوا من ذلك شرعا لا يؤدي البتة إلى إصلاح نوع من أنواع العالم إلا أنه يُصَيِّر العاقل إذا تشرع به أخرق أحمق والمرشد سفيها والمحسن مسيئا؛ لأن من كان في أصل عقيدته - التي نشأ عليها - الإساءة إلى الخالق، والنيل منه بوصفه بغير صفاته الحسنى فخليق به أن يستحل الإساءة إلى مخلوق.
وكذلك ما بلغنا عنهم في خلقهم من جهل وضعف العقل والطمع والبخل ومهانة النفس وخساسة الهمة والقدر وقلة الحياء إلا قليلا منهم. فلو لم تجب مجاهدة هؤلاء القوم إلا لعموم أضرارهم التي لاتحصى وجوهه لكفى. وكما يجب قتل الحيوان المؤذي بطبعه، لا يلام المرء على قتل هؤلاء، فكيف وثم من الموجبات ما تقدم؟! أ. هـ.

(٢) في ص: (المحج) ولعل الصواب ما أثبت والله أعلم.

(٣) في ص: (المنجح) ولعل الصواب ما أثبت، والمنجح: هو الظفر بالشيء، أنجح زيد وهو منجح. كما في القاموس ص ٣١١.

(٤) في ص (أنالنا) والصواب ما أثبته.

(٥) في ص (حلول) والصواب ما أثبته.